

ولا شيئا، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، قال: والله ما رأينا الشمس ستا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة - ورسول الله ﷺ قائم يخطب - فاستقبله قائما فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والجال والظراب ومنابت الشجر، قال: فانقطعت، وخرجنا نمشي في الشمس). قال شريك: فسألت أنسا: أهو الرجل الأول؟ قال: لا أدري<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ لما ذكر أن في أمته سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وقال: (هم الذي لا يسترقون ولا يكتون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) قام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: (أنت منهم)<sup>(٢)</sup>. ومن ذلك حديث ذكر النبي ﷺ أويسا القرني وفيه قال: (فاسألوه أن يستغفر لكم).

وهذا النوع من التوسل إنما يكون في حياة من يطلب منه الدعاء، أما بعد موته فلا يجوز؛ لأنه لا عمل له.

## ٢ - التوسل الممنوع: هو التوسل إلى الله تعالى بما لم يثبت في الشريعة

أنه وسيلة، وهو أنواع بعضها أشد خطورة من بعض، منها:

### ١ - التوسل إلى الله تعالى بدعاء الموتى والغائبين والاستغاثة بهم

---

(١) صحيح البخاري برقم (١٠١٣)، وصحيح مسلم برقم (٨٩٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٧٠٥)، وصحيح مسلم برقم (٢١٨).

وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ونحو ذلك، فهذا من الشرك الأكبر الناقل من الملة.

٢ - التوسل إلى الله بفعل العبادات عند القبور والأضرحة بدعاء الله عندها، والبناء عليها، ووضع القناديل والستور ونحو ذلك، وهذا من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد، وهو ذريعة مفضية إلى الشرك الأكبر.

٣ - التوسل إلى الله بجاه الأنبياء والصالحين ومكانتهم ومنزلتهم عند الله، وهذا محرم، بل هو من البدع المحدثّة؛ لأنه توسل لم يشرعه الله ولم يأذن به. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَذِنُ لَكُمْ﴾ (يونس: ٥٩) ولأن جاه الصالحين ومكانتهم عند الله إنما تنفعهم هم، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٩)، ولذا لم يكن هذا التوسل معروفا في عهد النبي ﷺ وأصحابه، وقد نص على المنع منه وتحريمه غير واحد من أهل العلم:

قال أبو حنيفة رحمه الله: (( يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان أو بحق أوليائك ورسلك أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام )).

#### د - شبهات وردّها في باب التوسل.

قد يورد المخالفون لأهل السنة والجماعة بعض الشبهات والاعتراضات في باب التوسل؛ ليتوصلوا بها إلى دعم تقريراتهم الخاطئة، وليوهموا عوام المسلمين بصحة ما ذهبوا إليه، ولا تخرج شبهات هؤلاء عن أحد أمرين:

الأول: إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة يستدل بها هؤلاء على ما ذهبوا إليه، وهذه يفرغ من أمرها بمعرفة عدم صحتها وثبوتها، ومن ذلك:

١ - حديث: (توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم)، أو (إذا سألت الله فاسأله بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم)، وهو حديث باطل لم

يرووه أحد من أهل العلم، ولا هو في شيء من كتب الحديث.

٢ - حديث: (إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور)، أو (فاستغيثوا

بأهل القبور)، وهو حديث مكذوب مفترى على النبي ﷺ باتفاق العلماء.

٣ - حديث: (لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه)، وهو حديث باطل

مناقض لدين الإسلام، وضعه بعض المشركين.

٤ - حديث: (لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما

غفرت لي، فقال: يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال: يا رب لما

خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش

مكتوبا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا

أحب الخلق إليك، فقال: غفرت لك ولولا محمد ما

خلقتك<sup>(١)</sup>، وهو حديث باطل لا أصل له، ومثله حديث: (لولاك ما خلقت

الأفلاك).

فمثل هذه الأحاديث المكذوبة والروايات المختلقة الملفقة لا يجوز لمسلم

أن يلتفت إليها فضلا عن أن يحتج بها ويعتمدها في دينه.

الثاني: أحاديث صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ يسيء هؤلاء فهمها

ويحرفونها عن مرادها ومدلولها، ومن ذلك:

١ - ما ثبت في الصحيح: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا

استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا

فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم بنينا فاسقنا، قال: فيسقون<sup>(٢)</sup>).

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ج ١/ ٨٨ ح ٢٥.

(٢) صحيح البخاري برقم (١٠١٠).

ففهموا من هذا الحديث أن توسل عمر رضي الله عنه إنما كان بجاه العباس رضي الله عنه ومكانته عند الله عز وجل، وأن المراد بقوله: (( كنا نتوسل إليك بنينا [أي بجاهه] فتسقيننا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا )) [أي بجاهه].

وهذا ولا ريب فهم خاطئ وتأويل بعيد لا يدل عليه سياق النص لا من قريب ولا من بعيد؛ إذ لم يكن معروفا لدى الصحابة التوسل إلى الله بذات النبي ﷺ أو جاهه، وإنما كانوا يتوسلون إلى الله بدعائه حال حياته كما تقدم بعض هذا المعنى، وعمر رضي الله عنه لم يرد بقوله: (( إنا نتوسل إليك بعم نبينا )) أي ذاته أو جاهه، وإنما أراد دعاءه، ولو كان التوسل بالذات أو الجاه معروفا عندهم لما عدل عمر عن التوسل بالنبي ﷺ إلى التوسل بالعباس رضي الله عنه، بل ولقال له الصحابة إذ ذاك كيف نتوسل بمثل العباس ونعدل عن التوسل بالنبي ﷺ الذي هو أفضل الخلائق، فلما لم يقل ذلك أحد منهم، وقد علم أنهم في حياته إنما توسلوا بدعائه، وبعد مماته توسلوا بدعاء غيره علم أن المشروع عندهم التوسل بدعاء المتوسل لا بذاته.

وبهذا يتبين أن الحديث ليس فيه متمسك لمن يقول بجواز التوسل بالذات أو الجاه.

٢ - حديث عثمان بن حنيف: (أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت

بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه في)، رواه الترمذي وأحمد وقال البيهقي إسناده صحيح<sup>(١)</sup>.

ففهموا من الحديث أنه يدل على جواز التوسل بجاه النبي ﷺ أو غيره من الصالحين، وليس في الحديث ما يشهد لذلك، فإن الأعمى قد طلب من النبي ﷺ أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره، فقال له: (إن شئت صبرت وإن شئت دعوت)، فقال: فادعه، إلى غير ذلك من الألفاظ الواردة في الحديث المصرحة بأن هذا توسل بدعاء النبي ﷺ لا بذاته أو جاهه؛ ولذا ذكر أهل العلم هذا الحديث من معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب، فإنه ﷺ ببركة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره ولهذا أورده البيهقي في دلائل النبوة<sup>(٢)</sup>.

وأما الآن وبعد موت النبي ﷺ فإن مثل هذا لا يمكن أن يكون لتعذر دعاء النبي ﷺ لأحد بعد الموت، كما قال النبي ﷺ: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)، رواه مسلم<sup>(٣)</sup>.

والدعاء من الأعمال الصالحة التي تنقطع بالموت.  
وعلى كل فإن جميع ما يتعلق به هؤلاء لا حجة فيه؛ إما لعدم صحته، أو لعدم دلالاته على ما ذهبوا إليه.

---

(١) سنن الترمذي برقم (٣٥٧٨)، ومسنند أحمد (١٣٨/٤).

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (١٦٧/٦).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٦٣١).

## المطلب السابع: الغلو.

أ - تعريفه: الغلو في اللغة هو مجاوزة الحد، بأن يزيد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق.

وفي الشرع: هو مجاوزة حدود ما شرع الله لعباده سواء في العقيدة أو العبادة.

ب - حكمه: التحريم؛ لما جاء من النصوص في النهي عنه والتحذير منه وبيان سوء عواقبه على أهله في العاجل والآجل . قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ (النساء: ١٧١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: ٧٧).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (إياكم والغلو، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)، رواه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي<sup>(١)</sup>.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (هلك المتنطعون)، قالها ثلاثاً، رواه مسلم<sup>(٢)</sup>.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (لا تطروني كما

(١) المسند (٣٤٧/١)، والمستدرک (٦٣٨/١).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٦٧٠).

أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد الله ورسوله)، رواه البخاري<sup>(١)</sup>.

والمراد بهذا الحديث، أي: لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الربوبية والألوهية، وإنما أنا عبد الله فصفوني بما وصفني به ربي، وقولوا: عبد الله ورسوله، فأبى الضلال إلا مخالفة لأمره وارتكابا لنهيهِ وناقضوه أعظم المناقضة فغلوا فيه وبالغوا في إطرائه وادعوا فيه ما ادعت النصارى في عيسى أو قريبا منه، فسألوه مغفرة الذنوب وتفريج الكروب وشفاء الأمراض ونحو ذلك مما هو مختص بالله وحده لا شريك له، وكل ذلك من الغلو في الدين.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٤٥).